جيلبير يمّين في "مهرجان البستان":

التقاسيم والجاز جنباً الى جنب

المستقبل - الخميس 3 آذار 2011 - العدد 3928 -

سحر طه

جيلبير يمّين واحد من أكثر عازفي القانون إتقاناً وشهرة اليوم في لبنان والعالم العربي، قدم أمسية موسيقية لافتة في "مهرجان البستان الدولي" اول من أمس، في قاعة "كريستال غاردن" في "فندق البستان"، بحضور حاشد من جاليات أجنبية وفاعليات ثقافية وفنية، الى جانب رئيس الكونسرفتوار اللبناني وليد غلمية.

قدم يمين قطعاً موسيقية مختلفة الاتجاهات والانتماءات، في عرض مقنع وقوي، في آن، لإمكانات الآلة والعازف في الوقت عينه ، بدءاً بالموسيقى التي تنتمي الى التقاليد المشرقية في التأليف والعزف، مروراً بالموسيقى التعبيرية، والموسيقى العربية الحديثة، وصولاً الى الموسيقى العالمية لمؤلفين كبار ومعروفين عبر تاريخ الموسيقى الكلاسيكية، الى موسيقى الجاز.

في مقدمة القطع عزف يمّين قطعتين تركيتين، "سماعي محيّر" لجميل بك الطنبوري و"بشرف فرحفزا" لإسماعيل حقي بك، كما في "لونغا كورديلي حجازكار" لحيدر تاتلياي، اذ أبدى براعة في العزف بطريقة المدرسة التركية المعروف اختلافها عن المدرسة العربية في العزف على الالة، وإن ضمت السلالم المشرقية نفسها (تقريباً) مع تغير الروحية والدوسات وبعض "الكومات" في النظام السلمي، وهنا لفت جيلبير أسماع الحضور، وبخاصة بعض المتخصصين في الموسيقى منهم، وتحديداً عازفين على الآلة والفنانين الحاضرين، اذ لمسوا ذلك "الهاجس" المتغلب لدى الموسيقي الجادّ، الذي يعكف على تكريس الفكر والتمرس والبحث عن كل تفصيل او حركة او لمسة او طريقة وأسلوب يمكن أن يستفيد منها العازف وبالتالي يصهرها معاً لتذوب في شخصيته الخاصة واللامعة في تقديم المقطوعات سواء تلك المعروفة او تلك التي يؤلفها للآلة.

وفي هذا المعنى كان عزف يمين على القانون، مغايراً للعازفين التقليديين، إذ تجاوز مرحلة التقليد او مجرد الإجادة، رغم انه قدم التقاسيم بشكل لافت كأسلوب تقليدي لأي عازف مبدع، وأبرز "تحويلات" مقامية" إبان هذه التقاسيم بشكل غير متوقع أحياناً، وفي "نقلات" غير مسبوقة، قد يكون لسماع الفنان او تطرقه وتجريبه لأنماط عديدة محلية وعالمية منحته هذه الثقة الكبيرة في تحويل بعض الأنغام عن مساراتها المعهودة الى مسارات أخرى لم يطرقها من سبقه على الآلة ربما لحذر منهم في الثورة على التقاليد المتبعة او الوفاء منهم للقدماء في اتباع اساليبهم فحسب دون تغيير يذكر.

من هنا أفاد يمين من المدرسة التركية في العزف بالأصابع العشرة، اذ استخدمها في عزف المقطوعات العالمية كما سمعنا في مقطوعات: "Fantasy through the blue Danube" للمؤلف يوهان شتراوس الثاني (1825–1899) والقطعة الشهيرة الوحيدة للموسيقي فيتوريو مونتي "Czardas" التي كتبها في العام 1904، في بناء يستلهم الموسيقى الهنغارية، وبعد أن قدمها كثيرون عبر آلات منفردة متعددة، وتوزيعات أوركسترالية سمعناها بالامس عبر آلة القانون، في تنويع زخرفي ممتع ابرز شخصية الموسيقى الشعبية الهنغارية، لكن بحلتها الأخرى المغايرة اي بصوت آلة القانون، خوارج اطار كل المتعارف سابقاً بصوتها المفعم بالجماليات الآسرة التي تكاد تطال الكمال.

وفي قطعة "نجوى" لوليد غلمية، أسبغ عليها عامل التعبيرية الملهمة، عكست جانباً آخر من مؤلفات غلمية خارج بعض الفلكلورية المعروفة، او المؤلفات الكلاسيكية السمفونية.

وفي مقطوعته "تأمل" استخدم طريقة النقر الإيقاعي على جانب الآلة لمواكبة العزف الإيقاعي على اوتار الالة الغليظة (القرار) لتؤدي الآلة والعازف معاً وظيفة الإيقاع والموقع معاً، وفي قطعة صوفية بطيئة تأملية أقرب ايضاً الى روح الموسيقى الصوفية التركية، بجملها القصيرة المتقطعة التي يترك بينها فراغات تتيح التفكر والتأمل أكثر من الاستمتاع بصوت الموسيقى بعينها.

في الامسية، حيث توحد العازف بآلته في وحدة نغمية، أو في سلسلة مغلقة الحلقات، متينة التعلق الواحدة بالاخرى، استمعنا الى آلة شرقية وعازف يستحقان الوقوف بمصاف أشهر العازفين في العالم.

بعد ختام البرنامج أعاده الجمهور ليعزف قطعتين واحدة تقع ضمن موسيقى الجاز ومن ثم "لونغا شهناز" لأدهم أفندي، التركي، وإعادة لموسيقى اغنية "يا مسافر وحدك" التي ابدع في تفاصيلها وفي تقديم روحية خاصة به وبالالة.

يذكر إن جيلبير يمين هو العازف الاول والمنفرد في "الاوركسترا الشرقية اللبنانية"، وهو الموسيقي العربي واللبناني الوحيد المشارك في "مهرجان

البستان" الذي يمتد حتى نهاية آذار الجاري، اذا استثنينا كورس "المعهد الوطني العالي للموسيقى" وكورس "الجامعة الانطونية" المشاركان ضمن المهرجان.